حوليات آداب عين شمس المجلد٤٦ ( عدد يناير– مارس٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

# الأثرُ الفلسفيّ في الفكرِ اللُّغويّ العربيّ
# ابنُ جنّي أنموذجا

**تغريد حريز محمد**

كليـة الآلب / جـامعـة بغــدا- قسم اللغـة العربيـة- الاختصاص الدقيق : اللغة

## المستخلص

ارتبط النحو العربي بفكرة التعليل منذُ بداياته الأولى، وقد كان للعلوم الدينية والفلسفية أثرها الواضح فيه، وتجلّى ذلك أكثر في القرن الرابع الهجري حين امتزج النحو بهذه العلوم، وتشبثت بفكرة العلية القائمة على ان لكل معلول علّة، وحرص علماء اللغة والنحاة على إيجاد تعليلات فلسفية ومنطقية لكل أبواب النحو وقواعده، فعلّلوا بذلك الظواهر اللغوية كلّها والتمسوا لها الأسباب والتأويلات حتى تستجيب للقواعد التي وضعوها، ولا تتعارض مع كلام العرب، إلى أن أضحت قطعة أساسية فيه .

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

**تمهيد :**

**تأصيل الفكر اللغوي ونشأة النحو**

التأصيل لمراحل نشأة النحو الأولى، تحمل روايات كثيرة، إذ احتدم النقاش منذ عهد مبكر حول هذه النشأة .

فوقف علماء اللغة من هذه القضية مواقف مختلفة، فهناك من وقف موقفاً متردّداً، ومنهم من وقف موقفاً حذراً متشكّكاً، في حين ظهر منهم من يبحث ويناقش ويحلّل، ولم تكن هذه المواقف من العرب أنفسهم، إنما ظهرت عند الدارسين والباحثين للنحو العربي، ومن الذين كانوا يرون التأثر بالثقافات الأجنبية، كأن تكون يونانيّة أو سريانيّة أو فارسيّة. فالكثير من الدارسين والباحثين كانوا يرون أن الفكر النحوي العربي اقتبس مفاهيم العلم اليوناني، الذي يقصد به منطق أرسطو، وظلوا يقدّمون أدلّتهم في هذه المسألة . ومن هؤلاء (( جيرار تروبو الذي علّل بأنّ النظام العربي النحوي يحتل محلاً بارزاً بين النظم النحويّة الكبرى الموجودة في العالم من أجل موقعه بين النظام اليوناني في الغرب، والنظام الهندي في الشرق، فكان من الطبيعي أن يلفت المستشرقون أنظارهم إليه ليدرسوا نشأته وتطوره)) [١] .

وعلى الرغم من ما ظهر من آراء للمستشرقين إلا أن هناك مستشرقين رفضوا فكرة التأثر بشكل كامل وأثبتوا في مقالة :

(في أصول النحو العربي) ومنهم المستشرق الانكليزي (Carter)، إذ بين أن سيبويه يستعمل في كتابه مجموعتين من المصطلحات، مجموعة قليلة قد تكون يونانية الأصل، ومجموعة كثيرة تتضمن المصطلحات العربية الأصل المنقولة من الفقه إلى النحو [٢] .

وبإزاء المؤيد للتأثر اليوناني والرافض له، ظهر من الباحثين من اتخذ موقفاً وسطاً ومنهم المستشرق (ليتمان) الذي قال ((اختلف الاورباويون في أصل هذا العلم فمنهم من قال : إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب، وقال آخرون : ليس كذلك، وإنما كما تنبتُ الشجرة كذلك نبت علم النحو عند العرب، وهذا هو الرأي الذي روي في كتب العرب منذ زمن، ونحن نذهب في هذه المسألة مذهباً وسطاً، وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا أيضاً شيئاً من النحو )) . [٣]

ولم يقف الأمر عند التأثر اليوناني بل ظهر هناك عدد من الباحثين قال بالتأثر السرياني والذي أكد تأثر العربية بالثقافة السريانية عدد من الباحثين ومنهم دائرة المعارف الإسلامية التي جاء فيها (( أن المعاجم النحوية الأصلية للنحويين العرب أخذت من المنطق الأرسطي عن طريق العلماء السريان إلى العرب )) [٤] وقد ردَّ الدكتور عبد الرحمن السيد هذا الرأي قائلاً : ليس لديهم دليل قاطع ولا أصل ثابت يرجعون إليه في هذا الاتهام أو يعتمدون عليه في مذهبهم هذا [٥] .

أما موقف الباحثين من ذلك فقد اتخذ ثلاثة اتجاهات :

فالاتجاه الأول : يرى أن العربية قامت على النمط السرياني ويمثل هذا الاتجاه جرجي زيدان، إذ ذهب إلى أن العرب لما اضطروا إلى تدوين علومهم كانوا قد خالطوا السريان واطلعوا على أدبهم ومؤلفاتهم التي كان النحو في جملتها فنسجوا على منوالهم[٦].

والاتجاه الثاني : قال إن العربية اقتبست نحوها من السريانية، وانحصر هذا الاقتباس في التقسيم الكلامي في النحو فضلاً عن النقاط العربية، وقد مثل هذا الاتجاه

جرجي زيدان، والأب إسحاق ساكا [٧]

أما الاتجاه الثالث : فتبناه الأستاذ مصطفى نظيف وأكد فيه أن العرب اقتبسوا النقاط العربية فقط عن النحو السرياني .

ورأى أن أبا الأسود وضع النقط والحركات مقتبساً إياها من الأب يعقوب الرهاوي، إذ ألف الأخير كتاباً في النحو السرياني[٨].

فلم يتوقف الباحثون عند هذا الحد إنما تعدى موقفهم إلى القول بالتأثر الفارسي .

وذهب عدد منهم إلى القول إن النحو العربي تأثر بالفارسية، ومنهم المستشرق (فون كريمر) الذي كان يرى أن النحو وضع لحاجة الأجانب الفرس والآراميين إلى تعلم العربية، فأثر هؤلاء بنقل ثقافاتهم وآرائهم إلى النحو العربي[٩].

وسار بهذا الاتجاه الدكتور شوقي ضيف والأستاذ أحمد أمين وابن خلدون، إذ أثبت هؤلاء تأثر العربية بثقافة الفرس والعجم [١٠] والرأي عندي على اختلاف الباحثين والمستشرقين في بدايات التفكير اللغوي العربي ؛ فإن قضية نشأة النحو قد ارتبطت بالمعارف السابقة للعرب في جاهليتهم وعصرهم الاسلامي .

فهم أصحاب لغة والضوابط الإعرابية من رفع ونصب وجر وجزم، لم تكن بعيدة عن منطقهم اللغوي وفطرتهم وسليقتهم السليمة، فضلاً عن نزول القرآن الكريم بلسانهم .

وما ذكر من إدعاء الأمية فيهم، بدليل بعض الآيات القرآنية نحو قوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾[١١] وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا ﴾[١٢] فهذا دليل على الأمية في أمور الدين، فلم يكن لديهم قرآن أو أي كتاب يعلّمهم أمور دينهم ، ويشرّع لهم أمور حياتهم، ومع كلّ هذا فإنّهم تركوا الآيات التي تنادي بأنّ العرب كانوا على دراية بالقراءة والكتابة ومنها :

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا ﴾ [١٣] وقوله أيضاً : ﴿ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ [١٤] وكل هذه الآيات تبيّن بل وتثبت للعرب معرفة القراءة . فضلاً عن الأخبار التي تواترت وأكدت أن زيد بن ثابت كان كاتباً من كتّاب الوحي على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد أرسل إليه أبو بكر بعد أن قتل معظم قرّاء القرآن يوم اليمامة ليكتبه ويجمعه في مصحف .

إذ قال زيد : (( قال أبو بكر إنك شاب عاقل لا تهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتتبع القرآن، اجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به جمع القرآن )) [١٥]وما جاء عن أبي سعيد الخدري أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : ((لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه )) [١٦]

وخير دليل واضح وثابت، يؤيد ويؤكد معرفة العرب للغتهم وخفاياها بأفكارهم وشعورهم ألاّ وهو المعلقات الشعرية التي كتبوها وعلقوها على أستار الكعبة، إذ كانت صورة صادقة لتقاليدهم وقيمهم الأخلاقيّة .

ولهذا قال جويدي : (( إن قصائد القرن السادس الميلادي لجديرة بالإعجاب، تنبئ بأنّها ثمرة صناعة طويلة، فإنّ ما فيها من كثرة القواعد والأصول في لغتها ونحوها، وتركيبها وأوزانها يجعل الباحث يؤمن بأنه لم تستو لها تلك الصورة الجاهلية إلا بعد جهود عنيفة بذلها الشعراء في صناعتها )) [١٧].

ومن كل هذه الأدلة نستطيع القول إنّ العرب أصحاب لغة، يجيدون القراءة والكتابة ومن هنا يمكننا أن نؤصل الجذور الأولى للأنظمة والقواعد النحويّة واللغويّة التي كانت عاملاً أساسيّاً في ضبط اللغة وتراكيبها .

**ـ وضع النحو : قراءة في الأسباب والواضع ـ**

وفيما يتعلق بواضع النحو والظروف التي ساعدت على وضع النحو، فلنا أن ندرج الآراء والحجج والأدلّة والروايات التي تثبت لنا وللقارئ من هو واضع النحو ولماذا وضع هذا النحو ؟

لا يخفى على أحد أن الروايات تعدّدت في مسألة واضع النحو وكيف وضع هذا النحو، وما الظروف التي ساعدت إلى وضعه، لقد كان السبب الرئيس لوضع قواعد وأنظمة تضبط اللغة هو اللحن الذي ظهر بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات التي تمّت في عصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) واختلاط العرب بالأقوام المسلمة، وما تركته هذه الفتوحات من آثار سيئة طرأت على اللسان العربي، إذ لم يقتصر الأمر على خطئهم في الكلام، إنما امتدّ إلى قراءاتهم للقرآن الكريم .

ويكفي أن يوصف اللحن بالضلال لأنه غاب عنه دليل الهدى، ونور الإرشاد، فعن أبي الدرداء قال : (( سمع النبي (صلى الله عليه وسلم) رجلاً قرأ فلحن قال : ارشدوا أخاكم )) (١٨)

وذكره ابن جني في الخصائص في رواية أخرى : ( ارشدوا أخاكم فإنه قد ضلّ) (١٩) ولهذا فكّر علماء المسلمين وحكّامهم في وضع علامات تعصم ألسنة العرب من اللحن والخطأ ويبعد غير العربي عن اللحن في كتابه العزيز . فبدأت أولى خطوتين لحفظ كتاب الله عزَّ وجلّ وهما : نقط الإعراب، ونقط الإعجام . وهنا كانت بداية التفكير النحوي العربي، أما من وضع أبواب النحو فقد اختلف المؤرخون قديماً وحديثاً في أول من وضع هذه الأبواب، واختلفت الروايات في ذلك وأول هذه الروايات ما ظهر في القرن الثالث الهجري، إذ كان أول من تعرض للحديث عن واضع النحو ابن سلام الجمحي ( ت٢٣١ هـ )، إذ قال :

(( وكان أول من أسّس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها، أبو الأسود الدؤلي، وإنما قال ذلك حين اضطرب الكلام فغلبت السليقة ولم تكن نحوية، فكان سراة الناس يلحنون فوضع باب الفاعل، والمفعول، والمضاف، وحروف الرفع والنصب والجزم)) (٢٠) وقال ذلك أيضاً ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه الشعر والشعراء، أما المبرد (ت ٢٨٥هـ) فقد بيّن أن أبا الأسود قد تلقى من علي بن أبي طالب ( رضي الله عنه) فأعطاه أصولا بنى عليها وتحمل بعده عليها(٢١).

وفي القرن الرابع الهجري ظهرت روايات أثبتت أن واضع النحو هو أبو الأسود الدؤلي ومنهم الزجاجي ( ت ٣٣٧ هـ ) وأبو الطيب اللغوي ( ت ٣٥١ هـ ) وأبو سعيد السيرافي (ت ٣٨٥ هـ ) والزبيدي ( ت٣٧٩ هـ ) .(٢٢) والذي يبدو لي واعتماداً للروايات التي أكدت وضع النحو من أبي الأسود الدؤلي، التسليم لتلك الروايات، التي تعدّ أبا الأسود الدؤلي المؤسس الأول للنحو سواء أكان عمله هذا بدافع شخصي أم بتوجيه وإرشاد من الإمام علي بن أبي طالب ( رضي الله عته ) أم من غيره.

فضلاً عن ذلك أننا إذا نظرنا إلى النحو العربي وجدنا أن الغيرة على القرآن الكريم وصونه من التحريف على السنة الأعاجم كانت السبب في وضع قواعده، إذ كان أبو الأسود حريصاً على ذلك والسبب أنه سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى : ﴿ ...أنَّ اللهَ

بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ التوبة:٣، بكسر اللام من (رسولهِ ) فغضب لذلك وكان هذا حافزاً له على وضع مبادئ النحو[٢٣].

## _ اللغة من وجهة فلسفية _

لما كانت اللغة وسيلة التواصل والتخاطب اليومي والتي لا يقوى أحد على تركها والمتنفس الأول في التعبير عن الأفكار والانفعالات النفسية، لذلك جعلها الفلاسفة والعلماء وسيلة لنشر أفكارهم ومآثرهم، فأخذوا على عاتقهم دراستها من منظور فلسفي ومنطقي بغية الوصول إلى جوهرها والبحث في أسرارها .

ومن هؤلاء الفيلسوف ( ديمقراطيس ٤٦٠ ق.م ) مؤسس نظرية الجزء الذي لا يتجزأ، فقد تناول اللغة بالدراسة والبحث، وهي عنده شيئاً من الأشياء التي يبتدعها البشر، أي أن اللغة عنده من قبيل المواضعة بين البشر[٢٤].

أما أفلاطون ( ٣٤٧ ق.م ) فالمعنى مختلف عنده إذ يعبر عن اللغة بمصطلح (الكلام) فهي عنده ظاهرة طبيعية لها طبيعتها الخاصة ولا شأن للإنسان فيها[٢٥].

أما أرسطو ( ٣٨٤ ق.م ) فهو يرى أن اللغة التي ينطق بها الإنسان ما هي إلا دلائل تشير إلى ما يعتمل بداخله من عواطف وأفكار وانفعالات نفسية، مبيناً الصلة بين اللفظ ومعناه[٢٦].

واللغة في التراث العربي كانت من أكثر المحطات التي استوقفت اذهاب العلماء في تاريخهم الفكري واللغوي وابرز من أوردها ابن جني ( ت٣٩٢ هـ ) في كتابه الخصائص إذ قال : (( اللغة أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم )) .

وهذا المعنى يعد قفزة واثبة نحو التقدم الفكري واللغوي ووصفا دقيقاً لمعنى اللغة، لانه جعلها أصواتاً ولم يجعلها ألفاظاً أو حروفاً فضلاً عن أنه لم يجعلها أصواتاً مطلقة إنما اقتصرها على الكلام الذي يصدر من بني البشر . فمن خلال اللغة يستطيع البشر نقل أفكارهم، والتعبير عن انفعالاتهم ومشاعرهم، كما أنه ((يربطها ربطاً وثيقاً بين الالفاظ ومدلولاتها يكاد يشبه الصلة الطبيعية أو الذاتية )) [٢٧].

هذه المفاهيم التي طرحها ابن جني هي غير معهودة وهذا لا ينفى ان ابن جني لم يكن له ارتباط فلسفي أو منطقي، لان تفسيره للغة يحمل دلالات واضحة تركت أثراً في نفوس علماء اللغة لأنه ينظر إلى اللغة من فهم عميق .

لذلك اخذ النحويون يولعون بالتعليل متأثرين بالفلسفة والمنطق فكثر عندهم التعليل، واحتدم الجدل والنقاش، وكثرت المناظرات والمحاورات والتعليقات، وبدأ هذا في القرن الرابع الهجري، فتعلق النحويون بالمنطق وأعجبوا به وساروا على نهجه حتى اضحى هذا النهج اقرب إلى الفلسفة .

وهذا جعل أبا علي الفارسي يستنكر على معاصره الرماني غلوه في التعليل ومزجه النحو بالمنطق حتى قال فيه : (( أن كان النحو ما يقوله ابو الحسن الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء )) [٢٨].

حتى وجدنا ابا الفتح ابن جني يتبنى العلة وأنواعها ويطيل الحديث عنها في مصنفاته حتى خصص كتاباً عن علل التثنية فضلاً عن ما جاء من تعليقات تعليمية وقياسية وفلسفية ملأ بها الخصائص وسر صناعة الأعراب لا براز قدراته في التأويل والتنظير والجدال العقلي الذي ابعد المصنفات عن الواقع اللغوي بسبب التأثر بالفكر الفلسفي .

ولنا أن نوجز مسيرته في الدرس النحوي وملازمته لأبي على الفارسي قبل بيان منهجه اللغوي واستخدامه للمعايير الفلسفية والمنطقية .

**_ ابن جني نشأته – ثقافته – آثاره_**

أبو الفتح بن جني النحوي الموصلي، كانت ولادته في الموصل، نشأ بها ودخل بغداد في سن مبكرة، وقد تردد في كتبه ذكر بعض تلاميذ المبرد وثعلب مثل محمد بن سلمة، وابن معتصم، ثم عاد إلى الموصل وأخذ يدرس الطلاب في مسجدها، أخذ عن أبي علي الفارسي بعد تعرفه عليه عند زيارته للموصل وصاحبه منذ ذلك الحين ولازمه وتبحر في علم التصريف .

وتذكر الروايات أن السبب في تعرفه على أبي علي الفارسي حين اخطأ في مسألة تصريفه هي قلب (الواو) (ألفاً) في (قام) و(قال) ولهذا أحب التصريف وبالغ فيه(٢٩) .

عدَّه الدكتور شوقي ضيف من البغداديين ؛ لأنه كان يوافق البصريين في مسائل كثيرة ويأخذ بوجهة النظر الكوفية في مسائل مختلفة .

لكن من ترجموا له من القدماء والمحدثين لم يعدوه منهم غير ابن النديم الذي جعله فيمن خلط المذهبين .

أما الدكتور فاضل السامرائي فقد انتهى بأدلة كثيرة بأنه (بصري المذهب حسب لا بغدادي ولا كوفي ) (٣٠).

وقال أيضاً : (( إن الناظر في كتب أبي الفتح لا شك واحد أنه يعدّ نفسه من البصريين لا من البغداديين ولا من غيرهم )) (٣١) ترك ابن جني للأجيال بعده من مصنفاته خمسين أشهرها (الخصائص) و(اللمع) و(التصريف الملوكي) و(شرح تصريف المازني) المسمى بـــ (المنصف) و(المحتسب في تبيين وجوده شواذ القراءات والإيضاح عنها) و(التمام في شرح أشعار هذيل) و(سر صناعة الإعراب) وغيرها (٣٢).

أما ما أحصاه الدكتور السامرائي فقد بلغ سبعة وستين بين وجيز ووسيط وبسيط، منها ما هو مطبوع ومنها ما ذكره المفهرسون، فكان وجوده ما لا تجد له ذكراً في فهارس المخطوطات وهذا لا يعني فقدان القسم الثالث، فما زالت المكتبات الشخصية تزخر بنوادر المخطوطات . أما وفاته فأقرب الروايات تؤكد وفاته سنة (٣٩٢ هـــ)(٣٣).

**_ ملامح المذهب الكلامي عنده_**

تبنى أبو الفتح المذهب الكلامي الذي جعله يرجح العقل في كل المسائل النحوية فيقول عنه السيوطي : (( كان هو وشيخه أبو علي الفارسي معتزليين )) (٣٤).

وقد أقرّ في بعض مصنفاته بالمذهب الاعتزالي وهذا ما وجدناه في مقدمة الخصائص، إذ يقول : (( الحمد لله الواحد العدل القديم )) (٣٥).

وهذه إشارة إلى التوحيد والعدل والقدم التي تعبر عن بعض صفات الله وهي من أصول المعتزلين، فهو يعمد إلى تحكيم العقل دون المساس بالدين، وهذا المنهج أفاد ابن جني منه في مسائل لغوية كثيرة كان أهمها القياس اللغوي والتعليل النحوي والعلة والمعلول ... إلخ .

**_ التأثر النحوي _**

أورد ابن جني الكثير من مصطلحات علم الكلام والمنطق في مصنفاته، وصرّح بأن النحاة كانوا يلجأون إليها لاستنباط العلل باللطف والمداراة حتى تصلح لهم، وهذا ما ينمّ عن الصلة الوثيقة التي كانت بين هذه العلوم يقول : (( وكذلك كتب محمد

بن الحسن رحمه الله إنما ينتزع أصحابنا منها العلل ؛ لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه مستوفاة محررة وهذا معروف من هذا الحديث عن الجماعة غير منكور )) [٣٦]

وقد ذهب الدكتور مازن المبارك إلى (( إن إشارة ابن الجني هذه كانت إشارة جريئة وصريحة فالصلة بين النحويين والفقهاء والمتكلمين صلة معروفة من قبل ولكن ابن جني هو الذي صرّح بها، ووضع أمرها ودلّ على مكانها بل كان أول من وضع اصول النحو على طريقة الأصول الفقهية والكلامية )) [٣٧]

وهذا يبين لنا ولوع النحاة بتلك الأصول وتفريطهم في توظيفها حتى غيروا بها مسار النحو، فعقدوه حتى اضحى مثل الطلاسم التي يستحيل فك رموزها . فلم يعد في متناول الجميع حتى أهل الاختصاص تبرؤا منة أمثال أبي علي الفارسي، كونه لا يعبر عن منطق اللغة بقدر ما يعبر عن قدرة وبراعة النحوي في التأويل والتعليل .

**ـ الفلسفة والدرس النحوي ـ**

تأثر ابن جني بعلم الكلام والمنطق والدليل على ذلك ما أورده من مصطلحات فلسفية في مصنفاته، ومن ذلك ما ذكره في كتابه (الخصائص) في باب دور الاعتلال[٣٨]، وهو (( أن يعلل الشيء بعلة معللة بذلك الشيء والدور بين الشيئين توقف كل منهما على الآخر )) [٣٩]

وأورد أن اجتماع السواد والبياض واجتماع الحركة والسكون في مكان واحد آمران مستحيلان[٤٠] . وهذا ما أخذه من احتجاج المتكلمين[٤١].

وأرى أن مصنفاته قائمة على الحوار والجدل واستحضار حجج العلماء وأدلتهم للرد عليها . فهو يفترض سؤالاً لسائل أو اعتراضاً لأحد ما، ثم يدلي برأيه ويحاججه ويحاوره وكأنه حاضر أمامه .

هذه المسائل نجدها عند أصحاب الكلام[٤٢]. ومثاله باب القول على الفصل بين الكلام والقول، يقول فإن قلت : قدمت في أول كلامك أن الكلام واقع في الجمل دون الآحاد، وأعطيت ههنا أنه اسم الجنس، لأن المصدر كذلك حاله، والمصدر يتناول الجنس وآحاده تناولا واحداً ... الى ان يقول قيل : ما قدمناه صحيح وهذا الاعتراض ساقط عنه وذلك أنا نقول : لا محالة ان الكلام مختص بالجمل فنراه يوضح هذا النهج في حكم استعمال ما رفضته العرب لاستغنائها بغيره[٤٣].

فهذا عنده جار مجرى اجتماع الضدين على المحل الواحد فلا يجوز أن يستعملا معاً وإنما يكتفي بأحدهما عن صاحبه كما يحمل المحل الواحد الضد الواحد دون مراسلة[٤٤].

ويقابل ذلك (( إقامة غير المحل مقام المحل ما يعتقدونه في مضادة الفناء للأجسام، فتضادهما إنما هو على الوجود لا على المحل، ألا ترى أن الجوهر لا يحل الجوهر بل يتضمنه في حال التضاد الوجود لا المحلّ، فاللغة في هذه القضية كالوجود، واللفظان المقام احدهما مقام صاحبه كالجوهر وفنائه منهما يتعاقبان على الوجود لا على المحل، كذلك الكلمتان تتعاقبان على اللغة والاستعمال، فاعرف هذا إلى ما قبله )) [٤٥].

وهذا ما أفرده في باب ( في ترافع الأحكام ) وهو أن يجتمع في الكلمة أمران يقضي كل منهما إذا انفرد بحكم في اللغة وتكون علية الكلمة فيكون ذلك داعياً الى الغاء تأثيرهما فكان هذا رفع حكم هذا وهذا أبطل حكم هذا [٤٦].

ومن ذلك قولهم : جَفْنة وجَفَنات، وقَصْعة وقَصَعات، لمّا حذفوا التاء حرَّكوا العين، فلّما تعاقبت التاءُ وحركة العين جَرَيا لذلك مجرى الضّدين المتعاقبين، فلّما اجتمعا

في ( فَعَلة ) ترافعا أحكامهما، فأسقطت التاء حكم الحركة، وأسقطت الحركة حكم التاء، فآل الأمر بالمثال إلى أن صار كأنه فعْل، و( فعْل ) بابُ تكسيره ( أفعُل ) [٤٧]
وهذا يقرب من قول بعض أرباب الاستدلال أن الأمرين إذا تعارضا تساقطا[٤٨].

ومنه ما جاء في باب ( في أن الحكم للطارئ ) الذي مثل له بدخول لام التعريف عل الاسم المنون فأنه يحذف لها تنوينه نحو ( رجل والرجل ) و ( غلام والغلام ) وذلك أن اللام للتعريف والتنوين من دلائل التنكير، فلّما ترادفا على الكلمة تضاداً فكان الحكم لطارئهما، وهو اللام . (( وهذا جارٍ مجرى الضدين المترادفين على المحل الواحد كالأسود يطرأ عليه البياض والساكن تطرأ عليه الحركة فالحكم للثاني منهما )) [٤٩].كذلك ما أورده في ( باب في الحكم يقف بين الحكمين )، إذ ذهب إلى أن كسرة ما قيل ياء المتكلم في نحو غلامي وصاحبي، هي حركة لا إعراب ولا بناء، وإنما منزلة بين المنزلتين [٥٠]. فالمنزلة بين المنزلين من مبادئ المعتزلة وأهل الكلام[٥١].

ونراه في سر صناعة الإعراب يطيل التعليل في قلب الواو والياء في قام وباعَ إذ يبيّن العلة في ذلك فيقول : (( إن اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة مكروه وهي الفتحة والواو أو الياء وحركة الواو والياء، لذلك هربوا من الواو والياء إلى لفظ يُوْمَنُ فيه الحركة وهو الألف وجوزها انفتاح ما قبلها، فهذا هو العلة عنده لا ما ادّعاه السائل من أن الفتحة قويت على قلب الحرف المتحرك )) [٥٢].

وهذا دليل حجاجه الذي يراد منه إثبات حقيقية العلة التي أجازت قام وباعَ .
أما ما قاله في ( باب في السلب )، أعلم أن كلّ فعل أو اسم مأخوذ من الفعل أو فيه معنى الفعل، فإن وضع ذلك في كلامهم على إثبات معناه لأسلبهم إياه، وذلك قولك : قام فهذا لإثبات القيام، وجلس لإثبات الجلوس[٥٣].

وهذا المصطلح من المصطلحات المتداولة عند الفلاسفة، وصاحبه هيجل، إذ بّين معناه ودلالته على النفي، وفكرة السلب أو النفي تحتل مكانة كبرى في فلسفة هيجل ومفادها الانتقال من الفكرة الواحدة إلى الفكرة المضادة[٥٤].

## _الفلسفة والمنهج الصرفي _

تأثر ابن جني في منهجه الصرفي بعلم الكلام والمنطق، وكان واضحاً في دراساته ويدلّ على ذلك قوله في مقدمة كتابه الخصائص إذ قال : (( ومحال أن يعلم الشيء على خلاف ما هو عليه إلا تراك لا تقول : علمتُ الحق باطلاً، ولا علمتُ السوادَ باطلاً؟ وهذا واضح )) [٥٥].

كذلك من استخدامه للمنطق ما أورده في أبواب اقتربت اقتراباً كبيراً من المصطلحات الفلسفية ومنها باب العلة وعلّة العلّة، وقال فيه (( ذكر أبو بكر في أول أصوله هذا، ومثّل منه برفع الفاعل، قال : فإذا سئلنا عن علّة رفعه قلنا : ارتفع بفعله، فإذا قيل : ولِمَ صار الفاعل مرفوعاً ؟ فهذا عن عِلّة العلّة )) [٥٦].

وأورد في ( باب في خلع الأدلة ) والمراد فيها تجريدها من المعاني المعروفة لها والمتبادرة فيها و إرادة معانٍ أخر لها، أو تجريدها من بعض معانيها، ومن ذلك واو العطف فيها معنيان : العطف، ومعنى الجمع، فإذا وضعت موضع ( مع ) خلصت للاجتماع، وخُلِعت عنها دلالة العطف، نحو قولهم : استوى الماءُ والخشبة، وجاءَ البرُد والطيالسة[٥٧].

كذلك يعمد إلى تقسيم المسائل تقسيماً منطقياً إذ ذكر وزن ( عِصِيّ ) بقوله : ((ولو قلت نحو ( عِصِيّ ) لقلت في قسمته : لا يخلو أن يكون ( فعولاً ) كـــ ( دِلِيّ ) أو يخلو (فِعِيلا) كـــ ( شِعِير ) و (بعير ) أو فَلِيْعاً كـــ ( قِيسيّ ) وليس لك أن تقول في

(عِصِيّ) إذا قسمتها او فِعِلّياً ؛ لأن هذا مثال لا موجود ولا قريب من الموجود )) [٥٨].

ونراه يصطنع اسلوب الجدل والحوار والحجاج والتعليل في عرض معظم المسائل الصرفية، إذ يفترض وجود من يعارض أقواله وآراءه وهم يلزمونه بالردّ، فيردّ عليهم، وقد يطيل في حواره وجدله حتى يستغرق صفحات، ومن أمثلة ذلك قوله : (( ما جاء من فَعله مما عينه ياء على فِعَل، نحو ضَيعْة وضِيع، وخيمة وخِيم، وعَيبْة وعِيب، كأنه إنما جاء على أنّ واحدته فِعلهُ، نحو ضيعة وخيمة وعيبة أفلا تراهما مفتوحاً ما قبلهما مجرايتن مجراهما مكسوراً ومضموماً ما قبلهما، فهل هذا إلا لأن الصنعة مقتضية لِإشباع الاعتلال فيهما .

فإن قلت : ما أنكرتَ ألا يكون ما جاء من نحو فَعْلة على فُعَل – نحو ثُوب وجُوَب ودُول – لما ذكرته من تصوّر الضمّة في الفاء، ولا يكون ما جاء من فَعله على فَعل – نحو ضَيع وخِيم وعيب – لما ذكرته من تصور الكسرة في الفاء، بل لأن ذلك ضرب من التكسير ركبوه فيما عينهُ معتلّة كما ركبوه فيما عينه صحيحة، نحو لأمة ولُؤَم وعَرْصة وعُرَص وقَرْية وقُرىً . فيما ذكره أبو علي ونَزْوةً ونُزاً، فيما ذكره أبو العبّاس – وحَلْقة وحِلق وفلْكه وفلك.... )) [٥٩]. والكلام في ذلك طويل، والأمثلة كثيرة .

**نتائج البحث :**

تأثر النحو العربي تأثرًا واضحًا بالفلسفة والمنطق، وهذا التأثر تبّين في المصطلحات والمنهج والمناظرة والجدل والحوار والحجج وطريقة عرض الآراء، إلا أن ذلك لا يقدّح بالأصول الأولى للنحو، فهو عربي خالص، ولا يقلله شأناً، إذ دخلت إليه بعض المصطلحات الفلسفية أو المنطقية فما هذه المصطلحات إلاّ دليل واضحً لامتزاج العرب بالثقافات الأجنبية نتيجة دخول غير المسلمين إلى الإسلام، و لولا هذا الامتزاج لما كانت هناك معرفة لمؤلفاتهم التي عرضت أفكارهم وآراءهم وما حدث من تطور وتغير شمل جوانب الحياة عامة، وبفضل الترجمة التي أصبحت المحرك الأساس لتناقل الثقافات واتساع المساحات المعرفية لدى العرب فضلاً عن رغبة غير العرب في الاطلاع على النتاج العربي لأن العرب أصحاب لغة عالية لها شأنها بين اللغات الباقية ولها من الثراء والغنى ما لغيرها منها . فهي لغة عالمية بفضل القرآن الكريم، وخلودها وبقاؤها مرتبط بخلود القرآن الكريم . أما علماء اللغة فلا بدّ لهم الاطلاع على الثقافات الأجنبية، واستعارة بعض المصطلحات منها في مؤلفاتهم وتوظيفها توظيفاً يخدم العربية لذلك وجدنا ابن جني قد تعرض للعلّة وعلّة العلّة والأدلة، والعارض، والسلب، والحكم للطارئ وغيرها من المصطلحات، وكانت عنايته شديدة بالتعليل وأصول النحو من سماح وقياس وعلل وإجماع واستحسان واستصحاب وغيرها وإتباع أسلوب الحجاج والمناظرة والجدل واستحضار رأي المخاطب ومحاورته فيه من نحو قوله : فإن قلت، وإن قيل : وقلنا وغيره .

لكن القضية اصبحت تناقش في أغلب المؤلفات إذ إن المنطق الارسطي حجّر الدرس اللغوي العربي وجعله بعيداً عن الهدف الذي وضع من اجله وهو صيانة المتكلمين من اللّحن والقدرة على الكلام وفق سمت كلام العرب . لذلك رأينا فندريس (Vendris) يدعو في كتابة اللغة (Language) إلى ضرورة الفصل بين النحو والمنطق والاستغناء عن المنطق حتى تكون تعليلاتهم مستمدة من روح اللغة وبساطتها، وإلى هذا تماماً دعا الزجاجي حينما حاول تخليص النحو العربي من مخالب الفلسفة وجعله مستقلاً بنفسه، حتى يستطيع المتكلم أن يفصل بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي وتوظيفه في تعلم وتعليم العربية .

**Abstract**

**Philosophical Impact In Arabic linguistic thought Ibn Genie as model**

**by: Taghreed Hariz Mohamed**

The Arabic grammar was associated with the idea of reasoning from its earliest beginnings, and the religious and philosophical sciences had a clear impact on it. This was more evident in the fourth century AH when the grammar was mixed with these sciences, and the idea of the attic was based on the fact that all scholars had a problem. For all the sections of grammar and grammar, so did all the phenomena of language and sought all the reasons and interpretations to respond to the rules that they developed and do not contradict with the words of the Arabs until it became a basic piece.

**الهوامش والمصادر**

(١) ينظر تفصيل ذلك في نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه، بحث للمستشرق الفرنسي جيرارتروبو، مجلة جيرارتروبو، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني – العدد الأول ١٣٩٨ه،١٩٧٨م – ١٢٥ .

(٢) ينظر المدارس النحوية . د خديجة الحديثي – مطبعة جامعة بغداد – الطبعة الثانية ١٤١٠ه – ١٩٩٠م ٤١ .

(٣) ضحى الإسلام – أحمد أمين . الجزء الثاني – الطبعة الثالثة – القاهرة ١٣٧١ه – ١٩٥٢ م، ٢٩٣. ٢٩٣.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية . الطبعة العربية ٣ / ٣٨٦، ينظر المدارس النحوية ٤٣ .

(٥) مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها د. عبد الرحمن السيد . دار المعارف بمصر ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، - ١٩٦٨م، ٩٥، وينظر المدارس النحوية ٤٣ .

(٦) تاريخ آداب اللغة العربية .جرجي زيدان – مراجعة د.شوقي ضيف، القاهرة، ١ / ٢٠٩.

(٧) ينظر مجلة العربي الكويتية العدد ١٠٦ لسنة ١٩٦٧م .

(٨) ينظر مجلة المجمع اللغوي الأردني العدد الأول – المجلد الأول – ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م والحلقة المفقودة المفقودة في تاريخ النحو العربي، عبد العال مكرم سالم، مؤسسة الوحدة – الكويت – ١٩٧٧م، ١٠ .

(٩) الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، تعريب مصطفى بدر، طبعة دار الفكر العربي، ٩٠، وينظر العربي، ٩٠، وينظر الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ٩ .

(١٠) ينظر المدارس النحوية ٤٤، والحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ١٠ .

(١١) آل عمران ٢٠ .

(١٢) الجمعة ٢ .

(١٣) الفرقان ٥ .

(١٤) الإسراء ٩٣ .

(١٥) الاتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي، مطبعة حجازي بالقاهرة، ١٣٦٨هـ - ١ / ٥٧

(١٦) تقييد العلم للخطيب البغدادي ٢٩ .

(١٧) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ١٤ .

(١٨) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ١ / ١٥١، والحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ١٥ .

(١٩) الخصائص . تأليف أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ ) تحقيق د. عبد الحميد هنداوي. الطبعة الثانية الطبعة الثانية . دار العلمية – بيروت – لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٢ / ٨ .

(٢٠) ينظر طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني . القاهرة. القاهرة. ١٩٧٤م – ١ / ١٢، المدارس النحوية ٢٦٠، وأهل القرآن وتأسيس النحو – د. مهدي الشوي، الشوي، ١٠٨ .

(٢١) ينظر المدارس النحوية ٦١ .

(٢٢) ينظر طبقات النحويين واللغويين . ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى – القاهرة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م، ١٥، ٢٠، ٢١ .
(٢٣) ينظر أخبار النحويين البصريين للسيرافي . تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه الزيني – القاهرة ١٩٥٥م، ١٢، الفهرست–لابن النديم - . القاهرة ١٣٤٨هـ، ٦٦، وفصول في فقه العربية –رمضان عبد التواب . مكتبة الخانجي – القاهرة، ١١٢ .
(٢٤) مقال في الانترنيت http : // www. Alquds .co. uk /
(٢٥) ينظر دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ٢٠٠٤م، ٤٧ .
(٢٦) المصدر نفسه ٤٨ .
(٢٧) المصدر نفسه ٤٩ .
(٢٨) ينظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء . لابن الأنباري . طبقة جمعية إحياء مآثر العلماء الغرب، ٢٣٤، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني . د.حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد – بغداد ١٩٨٠م، ١٣.

(٢٩) ترجمة في نزهة الألباء ٢٢٠، المدارس النحوية ٢٨٢ – ٢٥٦، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ١١ - ١٣ .
(٣٠) ابن جني النحوي . د. فاضل السامرائي ط بغداد ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ٢٩٠ .
(٣١) المصدر نفسه ٢٦٨، وينظر الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ١٨ .
(٣٢) ينظر المدارس النحوية ٢٨٣ .
(٣٣) معجم الأدباء – لياقوت الحموي . النسخة المصورة عن طبعة مرجليوث –مصر ١٩٢٣م، ٥ / ١٩ .

(٣٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها . للسيوطي(ت ٩١١ هـ )شرح وضبط وتصحيح وتعليق محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون الطبعة الثالثة، القاهرة . دار التراث، ١ / ١٥ .
(٣٥) الخصائص ١ / ٥٥ .
(٣٦) سرصناعة الاعراب . تأليف ابي عثمان بن جني تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل . دار الكتب العلمية بيروت– لبنان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ١ / ١٣٧ .
(٣٧) النحو العربي – مازن المبارك، الطبعة الأولى بيروت– دار الحضارة، ١٩٦٥م، ١٢٢ .
(٣٨) الخصائص ١ / ٢٠٩ .
(٣٩) معيار العلم في فن المنطق، الإمام أبو حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ تحقيق حسين شرارة . دار الأندلس– بيروت ١٩٦٤م، ١٩٠، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٥هـ، دار الفكر – بيروت، ١٣ .
(٤٠) الخصائص ٢ / ١٣٩ .
(٤١) ينظر الفصل في الملل والأهواء والنحل . أبو محمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ )، المطبعة الأدبية،مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٠هـ، ١ / ١٣ .
(٤٢) المصدر نفسه ١ / ٦٥ .
(٤٣) الخصائص ١ / ٨٠ .
(٤٤) ينظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ١ / ١٠ – ١٢ .
(٤٥) الخصائص ١ / ٤٧٣ .
(٤٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢ / ١٠٨ .
(٤٧) الخصائص ١ / ٤٧٠ .
(٤٨) ينظر إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ٢٧٥ .
(٤٩) الخصائص ١ / ٢٩٩ – ٣٠١ .
(٥٠) المصدر نفسه ٢ / ١٣٧ .
(٥١) ينظر مقالات الإسلاميين، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ت ٣٣٠هـ . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ١٩٨٥م، ١ / ٣٠٥ .
(٥٢) سرصناعة الإعراب ١ / ٣٧ .
(٥٣) الخصائص ٢ / ٣١٠ .
(٥٤) مقال في الانترنيت http : // www. nizwa .com

(٥٥) الخصائص ١ / ٨٠ .
(٥٦) المصدر نفسه ١ / ٢٠٠ – ٢٠١ .
(٥٧) ينظر المصدر نفسه ١ / ٥٣٩ .
(٥٨) ينظر المصدر نفسه ٢ / ٦٩، والضف لابن جني : تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ١٩٥٤، ٣ / ١٣٥ ١٩٥٤، ٣ / ١٣٥ .
(٥٩) الضف لابن جني ٣ / ١٥٣ .